لاتعرض عما جاءك متبعا اهواءهم وكلا الامرين حسن شايع في كلام الفصحاء والارجح الاكثر
لما ذكرنا قليل بالنسبة اليه قوله وهذا اي ان يقبل هو على قومه مع كثرة عددهم فيقول انهم احنا لانتم و
اوثانكم حسبكم عداوتي وقصد اهلاكي ولا تمهلوني من اعظم معجزات الانبياء والنهاية اجرى الحاكم
والجمع كتاله والنسك ان ياتي الرجل صاحبه وهو غافل حتى يشتد عليه قوله بهذا الكلام جاء على قال
المواجهة اي مراجعته اياهم ملتبسا بهذا الكلام وتشيطهم بالنصب عطفا على مواجهة والتشيط عن الامر
الاشتغال عنه والكلاءة الحفظ لما اجاب قوله بان اعتزوه عن اجابتهم وتصديقهم اياه وقالوا له
ما تقول في سبب مخالفتك اياها ودعوتك الى ان عبادة الاصنام الا ان بعض الاصنام اصابك بجنون
وافسد عقلك لسبك اياها وصدك عن عبادتها والآمن له عقل سليم لا يقدم على ما انت عليه
اجاب هود بقوله فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون عن قولهم ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء قوله
اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون مقدمة وتمهيد للجواب وهو من اجزاء الجواب لا جرم تمهيد
فانهم لما ادعوا ان الهتهم اضر به بسبب صدعه عن عبادتها وسبه اياها صرح بالصد والسب بقوله اني
بريء مما تشركون ثم نفى ما زعموه من مضرتها كانه قال هذا ديني ودين ابي لا ازال عليه واعتزوني
انتم والهتكم بالمعدود دون عليه من السوء ولما كان قوله واشهدوا عطفا على قوله اشهد ومنع عن
عطفه عليه امران الاول ان الطلب لا يعطف على الخبر والثاني ان عطفه عليه يكون الطلب خبرا
وهو غير جائز وبيان الملازمة ان اشهد خبر لكلمة ان فما عطف عليه يكون خبرا ايضا والظاهر ان
قال اني اشهد الله واشهدكم … الى جوابه بان الفرق بين اشهادي الله تعالى واشهاده اياهم
بان اشهادي الله تعالى شهادة على التحقيق حيث به يؤكد به ما ذكره من البراءة من شركهم وشركائهم
محل اشهادهم اياهم على البراءة فانه ليس اشهادا على التحقيق اذ لا يقول احد لمن يعاديه اشهدكم على اني
بريء منك الا وهو يريد عدم المبالاة بالبراءة والاستهانة … اختلف الاشهادان في المعنى خولف بينهما
في الصيغة الامر وان كان المراد بها الخبر لان … وطلبا فلا يجوز ان يقدر الخطاب
بالطلب وبالعكس قوله والاخذ بالناصية تمثيل لذلك … منبت الشعر في مقدم الراس
ويسمى الشعر النابت هناك ايضا ناصية تسمية له باسم … الاخذ بناصية الانسان
عبارة عن قهره والغلبة عليه وكونه في قبضة الاخذ بحيث يناله قدرته كيف شاء اذا وصفوا انسانا
بالذل والخضوع قالوا ما ناصية فلان الا بيد فلان اي يطيع له لان كل من اخذت بناصيته فقد قهرته فكان اخذ الله
بناصية الخلايق استعارة تمثيلية لنفاذ قدرته فيهم وقوله ان ربي على صراط مستقيم ايضا بيان
ما يوجب التوكل عليه مع كونه قادرا على الخلايق لم يسلط الا على الحق والعدل لا يظلمهم ولا يجرمهم
عليهم الا ما يوجب الحق … ولا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم قوله …

بل يحتجبا بين الله تعالى اولا انه احسن اليهم بنفس الانجاء ثم بين ان ما نجاهم عنه عذاب غليظ وانه انما احسن اليهم
بمثل هذا الاحسان ويجوز ان يكون المراد بالنجاة الاولى النجاة من عذاب الدنيا وبالنجاة الثانية من عذاب
الاخرة فح يكون معنى قوله ونجيناهم وحكمنا بانهم لا يستحقون عذاب يوم القيمة والمراد بالسموم ما نزل بهم
من الريح العقيم التي عذبهم الله تعالى بها سبع ليال وثمانية ايام يدخل في مناخرهم ويخرج من ادبارهم
ويصرعهم على الارض على وجوههم حتى صاروا كانهم اعجاز نخل خاوية قيل المراد بالرحمة ما هداهم
الله من الايمان وقيل المراد انه لا ينجو احد وان اجتهد في الايمان والعمل الصالح الا برحمة الله
وقصتهم ان عادا انبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها
صداء وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا نبيا وكان اوسطهم واخيرهم وافضلهم حسبا فكذبوه
وازدادوا عتوا وتجبرا وامسك الله عنهم القطر ثلث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم البلاء
توجهوا الى البيت الحرام مسلمهم وكافرهم وطلبوا من الله الفرج فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين
رجلا رئيسهم قيل بن عنز فدخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابا بيضاء
وحمراء وسوداء ثم ناداه من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثر
ماء فخرجت عاد من وادي المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم
ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا رحمهم الله ثم انه تعالى لما ذكر قصتهم عليه السلم
خاطب قوم محمد صلعم فقال وتلك عاد اشارة الى قبورهم واثارهم كانه تعالى قال سيروا في الارض فانظروا اليها
واعتبروا او اشارة الى نفس القصة الجامعة للاوصاف الثلثة المذكورة في جحودهم بدلالة المعجزات على الصدق وعصيانهم
الرسل واتباعهم الرؤساء الجبابرة المعاندين قوله لاغير الحصر مستفاد من تقديم الفاعل المعنوي فان قوله تعالى
هو انشأكم من قبيل قولك انا كفيت مهمك ان يقدر ان اصله انشأكم هو فكونه هو فاعلا في المعنى وان كان في
اللفظ تاكيدا للفاعل وقوله كونكم اشارة الى ان من لابتداء الغاية بمعنى ابتداء انشائكم منها والخطاب مبني
على تغليب الحاضر على الغائبين من نوع البشر فان مادة الجميع هو التراب انما كون مادة ادم هو التراب
فظاهر واما كون مادة اولاده التراب فلانتهاء مادة تكونهم الى التراب لان كلهم مخلوقون من صلب ادم
وهو كان مخلوقا من الارض ولان كل واحد منهم مخلوق من المني ومن دم الطمث والمني انما تولد من الدم فبنو ادم
كلهم مخلوق من الدم والدم انما يتولد من الاغذية والاغذية اما حيوانية او نباتية والنباتية انما تتولد من الارض
والاغذية الحيوانية لابد ان تنتهي الى الاغذية النباتية المتولدة من الارض فثبت انه تعالى انشأ الكل من الارض
قوله واستعمركم فيها … استعمل …

Copyright © King Saud University